تفسير إبن كثير

وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

خبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار .قال ابن جرير : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا عمر بن يونس ، عن عكرمة ، حدثنا ابن إسحاق بن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى االله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي االله صلى االله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة قال : لا أدري أربعين أو سبعين . وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري ، فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول االله صلى االله عليه وسلم ، حتى أتوا غارا مشرفا على الماء فقعدوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول االله صلى االله عليه وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنصاري - : أنا أبلغ رسالة رسول االله صلى االله عليه وسلم . فخرج حتى أتى حيا [منهم] فاختبأ أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسول رسول االله إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا االله وأن محمدا عبده ورسوله ، فآمنوا باالله ورسوله . فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر . فقال :

االله أكبر ، فزت ورب الكعبة . فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل . وقال إسحاق : حدثني أنس بن مالك ، أن االله [تعالى] أنزل فيهم قرآنا : بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخت فرفعت بعد ما قرأناه زمنا ، وأنزل االله : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل االله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .وقد قال الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه : حدثنا محمد بن عبد االله بن نمير ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عبد االله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد االله عن هذه الآية : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل االله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : " أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ فقالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب ، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا " . وقد روي نحوه عن أنس وأبي سعيد

.حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت عن أنس أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " ما من نفس تموت ، لها عند االله خير ، يسرها أن ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة " .انفرد به مسلم من طريق حماد .حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد االله المديني ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن علي بن ربيعة السلمي ، عن عبد االله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : قال لي رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أما علمت أن االله أحيا أباك فقال له : تمن علي ، فقال له : أرد إلى الدنيا ، فأقتل مرة أخرى ، فقال : إني قضيت الحكم أنهم إليها لا يرجعون " .انفرد به أحمد من هذا الوجه وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن أبا جابر - وهو عبد االله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضي االله عنه - قتل يوم أحد شهيدا . قال البخاري : وقال أبو الوليد ، عن شعبة عن ابن المنكدر قال : سمعت جابرا قال : لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب رسول االله صلى االله عليه وسلم ينهونني والنبي صلى االله عليه وسلم لم ينه ، وقال النبي صلى االله عليه وسلم : " لا تبكه - أو : ما تبكيه - ما زالت الملائكة تظله

بأجنحتها حتى رفع " . وقد أسنده هو ومسلم والنسائي من طريق آخر عن شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : لما قتل أبي يوم أحد ، جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي . . . وذكر تمامه بنحوه .حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد ، عن أبي الزبير المكي ، عن ابن عباس ، رضي االله عنهما ، قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " لما أصيب إخوانكم بأحد جعل االله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ، ومأكلهم ، وحسن منقلبهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع االله لنا ، لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب " فقال االله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأنزل االله عز وجل هؤلاء الآيات : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل االله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وما بعدها " .هكذا رواه [الإمام] أحمد ، وكذا رواه ابن جرير عن يونس ، عن ابن وهب ، عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن إسحاق به ورواه أبو داود والحاكم في مستدركه من حديث عبد االله بن إدريس عن محمد بن إسحاق ، عن

إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فذكره ، وهذا أثبت . وكذا رواه سفيان الثوري ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي إسحاق الفزاري ، عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل االله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .وكذا قال قتادة ، والربيع ، والضحاك : إنها نزلت في قتلى أحد .حديث آخر : قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد االله بن جعفر ، حدثنا هارون بن سليمان أنبأنا علي بن عبد االله المديني ، أنبأنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري ، سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصاري ، قال : سمعت جابر بن عبد االله قال : نظر إلي رسول االله صلى االله عليه وسلم ذات يوم فقال : " يا جابر ، ما لي أراك مهتما ؟ " قال : قلت : يا رسول االله ، استشهد أبي وترك دينا وعيالا . قال : فقال : " ألا أخبرك ؟ ما كلم االله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحا - قال علي : الكفاح : المواجهة - فقال : سلني أعطك

. قال : أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل : إنه سبق مني القول أنهم إليها لا يرجعون . قال : أي رب : فأبلغ من ورائي . فأنزل االله [عز وجل]) ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل االله أمواتا) الآية .ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سبيط الأنصاري ، عن أبيه ، عن جابر ، به نحوه . وكذا رواه البيهقي في " دلائل النبوة " من طريق علي بن المديني ، به .وقد رواه البيهقي أيضا من حديث أبي عبادة الأنصاري ، وهو عيسى بن عبد الرحمن ، إن شاء االله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة [رضي االله عنها] قالت : قال النبي صلى االله عليه وسلم لجابر : " يا جابر ، ألا أبشرك ؟ قال : بلى ، بشرك االله بالخير . قال شعرت أن االله أحيا أباك فقال : تمن علي عبدي ما شئت أعطكه . قال : يا رب ، ما عبدتك حق عبادتك . أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك ، وأقتل فيك مرة أخرى . قال : إنه سلف مني أنه إليها [لا] يرجع " .حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، رضي االله عنهما ، قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ،

في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا " .تفرد به أحمد ، وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، وعبدة عن محمد بن إسحاق ، به . وهو إسناد جيد .وكان الشهداء أقسام : منهم من تسرح أرواحهم في الجنة ، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة ، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك ، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح ، واالله أعلم .وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضا فيها ، وتأكل من ثمارها ، وترى ما فيها من النضرة والسرور ، وتشاهد ما أعده االله لها من الكرامة ، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم ، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة ، فإن الإمام أحمد ، رحمه االله ، رواه عن [الإمام] محمد بن إدريس الشافعي ، رحمه االله ، عن مالك بن أنس الأصبحي ، رحمه االله ، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، رضي االله عنه ، قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه االله إلى جسده يوم يبعثه " .قوله : " يعلق " أي : يأكل .وفي هذا الحديث : " إن روح المؤمن تكون على شكل

طائر في الجنة " .وأما أرواح الشهداء ، فكما تقدم في حواصل طير خضر ، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها تطير بأنفسها ، فنسأل االله الكريم المنان أن يثبتنا على الإيمان .